

أضواء البيان

. @ 116

ومعنى الآية الكريمة ، أن [] لما بين حقارة الدنيا ، وعظم شأن الآخرة في قوله : { وَرَحْمَةً رَّبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } . . .
أتبع ذلك ببيان شدة حقارتها ، وأنه جعلها مشتركة ، بين المؤمنين ، والكافرين وجعل ما في الآخرة من النعيم خاصاً بالمؤمنين ، دون الكافرين وبين حكمته في اشتراك المؤمن مع الكافر ، في نعيم الدنيا بقوله : { وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً }
أي لولا كراهتنا لكون جميع الناس أمة واحدة ، متفقة على الكفر ، لأعطينا زخارف الدنيا كلها للكفار . . .

ولكننا لعلمنا ، بشدة ميل القلوب إلى زهرة الحياة الدنيا ، وحبها لها لو أعطينا ذلك كله للكفار ، لحملت الرغبة في الدنيا جميع الناس على أن يكونوا كفاراً ، فجعلنا في كل من الكافرين والمؤمنين غنياً وفقيراً ، وأشركنا بينهم في الحياة الدنيا . . .
ثم بين جل وعلا اختصاص نعيم الآخرة بالمؤمنين في قوله : { وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } . . .
أي خالصة لهم دون غيرهم . . .

وهذا المعنى جاء موضحاً في غير هذا الموضع ، كقوله تعالى في الأعراف : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } . . .

فقوله : { قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } أي مشتركة بينهم في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة . . .
أي خاصة بهم ، دون الكفار ، يوم القيامة . . .
إذ لا نصيب للكفار البتة في طيبات الآخرة . . .

فقوله في آية الأعراف هذه { قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } صريح في اشتراك المؤمنين مع الكفار في متاع الحياة الدنيا . . .
وذلك الاشتراك المذكور ، دل عليه حرف الامتناع ، للوجود الذي هو لولا ، في قوله هنا { وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } . . .

وخصوص طيبات الآخرة ، بالمؤمنين المنصوص عليه في آية الأعراف بقوله { خَالِصَةً }

يَوْمَ الْقِيَامَةِ } هو الذي أوضحه تعالى في آية الزخرف هذه بقوله { وَالْأَسَدُ خِرَّةٌ
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } .